

التينمباب

(Tee-n-mbabb)

في الثقافة النوبية



د. عوض شيبًا

التينمباب (Tee-n-mbabb)

في الثقافة النوبية

د. عوض شيبًا

الطبعة الأولى

2024م

اسم الكتاب

التينمباب

(Tee-n-mbabb)

في الثقافة النوبية

اسم الكاتب

د. عوض شبا

الإيداع القانوني

2024/.....م



دار آريثريا للنشر والتوزيع
Araythria for Publishing and Distribution

الناشر

دار آريثريا للنشر والتوزيع - الخرطوم - السودان

جوال: 00249122094856 - 121566207

البريد الإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:

الطبعة الأولى - 2024م

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر والمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف والناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾

(سورة الشورى: الآية 29)

المحتويات

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---------------------------|
| 7 | الإهداء |
| 9 | شكر وتقدير |
| 11 | مقدمة |
| 13 | الثقافة |
| 15 | التينمباب |
| 17 | تينمباب البركة |
| 19 | تينمباب الحفظ والحظ |
| 21 | الجدور التاريخية والدينية |
| 25 | جعران أبو الدرداق |
| 27 | الطقس والممارسة |
| 31 | التينمباب داخل العيش |
| 33 | طقس الحفظ والحظ |
| 39 | الخاتمة |
| 41 | المصادر والمراجع |

الإهداء

إلى كل المهتمين بالموروث الثقافي السوداني أهدي
هذه الصفحات علها تكون مساهمة بسيطة
لجهودهم في التعريف بهذا الوطن القارة ،،

المؤلف

شكر وتقدير

أخص بالشكر والتقدير الأخ البروفيسور/ حاتم الصديق محمد أحمد، على مؤازرته المستمرة واهتمامه المتواصل بدراساتي، وإصراره على إصدار هذا المقال المنشور ككتيب ضمن منشورات سلسلة الدراسات التاريخية بدار آريثريا للنشر والتوزيع،،،

المؤلف

مقدمة

« حول المنهج والمحتوى »

إن ما يعيننا في هذه الدراسة الموجزة هو تسليط الضوء على طقس التينمباب كممارسة قديمة ما زالت تتمسك بها فئة واسعة من سكان دنقلا وشمال السودان وذلك من خلال البحث عن معنى الاسم وجذور الدينية، ووصف جوانب من الطقوس التي كانت وما زالت وتمارس حتى الآن - عند النساء كبيرات السن بوجه الخصوص- والمتعلقة بالتينمباب بغرض توضيح أسباب استمرار هذه المظاهر الوثنية كفعل اجتماعي، وأعني بالوثنية هنا الديانات القديمة في المنطقة غير المرتبطة بالرسالات السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلام).

وفي هذه الدراسة اعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي والمنهج الأثنوغرافي؛ ولعدم توفر مادة مرجعية متخصصة تناولت الموضوع بالدراسة تتبعنا ثلاث خطوات أساسية لتحقيق الغرض المطلوب وهي:

الأولى: حصر الدراسة في منطقة جغرافية محددة، في إطار المحيط الجغرافي لمدينة دنقلا عاصمة مملكة النوبة وهي المنطقة الجغرافية المتاخمة لها من الناحية الشمالية والمعروفة بمنطقة المقاوادة، لأن ما ينطبق في العاصمة من موروثات ينطبق في الأقاليم بصورة أوضح، وبالتالي فإن نتائج هذه الدراسة قد تفضي إلى فهم أشمل لثقافة المنطقة وإلى إضاءة جوانب أخرى قد تكون غير مدركة.

الثانية: رصد ووصف مادة الدراسة (التينمباب) والطقوس المتصلة بها ثم محاولة تفسيرها بإستخدام معاني ودلالات اللغة المستخدمة - وهي اللغة

الدنقلاوية- والباحت على دراية بها ومقيم في منطقة الدراسة ومعايش للموروث الثقافى، ممّا جعله أحد مصادر هذه الدراسة، إضافة إلى المقابلات الشخصىة، وكانت غالب لغة المخاطبة فيها هي اللغة الدنقلاوية، والتي ترجمت إلى اللغة العربىة - لغة الدراسة - دون إيراد نص المقابلة.

الثالثة: تقسيم موضوع الدراسة إلى مباحث على ضوء ما توفر من معلومات بحيث يسهل عملىة التحليل، لأن الطقس - موضوع الدراسة - يرتبط بمجموعة من الطقوس الأخرى وجزء منها، لذا كان لابد من إضاءة للطقوس الأخرى في حدود ما يعيننا على إبراز طقس التينمباب.

ويتطلب منا هذا التقديم أيضاً تعريفاً مُجملاً ومبسّطاً لبعض المصطلحات المستخدمة في هذه الدراسة بحيث يكفي لتوضيح الغرض من استعماله وضبط مراده على النحو التالى:

الثقافة

الثقافة هي خلاصة تفاعل الإنسان مع بيئته وهي عبارة عن ذلك النسيج المتداخل والمتشابك من المعارف والعادات والتقاليد والطقوس وكل المنظومة الاجتماعية من قيم ومثل وغيرها، والتي يكتسبها الإنسان بحكم انتمائه للمجتمع الذي تتشكل من خلاله شخصية الفرد والجماعة، من جانب آخر فالثقافة ثمرة حوار طويل وممتد عبر القرون، وتمثل إرثاً قديماً وواقعاً متجدداً تربط الماضي بالحاضر والمستقبل، ويمكن القول بأن الثقافة عبارة عن خلاصة تجارب الشعوب، والسجل الكامل لأساليب حياتها ومكونات فكرها والكتاب المفتوح لتاريخها الحضاري (حريز، 1992م: 5).

الحروز:

كلمة حرز في اللغة العربية مأخوذة من الاحتراز والتحوط، وتُجمع حروز، وفي الاصطلاح الحرز حجاب أو تميمة أو تعويذة يُعتقد أنها تقى الانسان من الشرور وتجلب له الحظ (سليمان، 1983: 90-91).

الطقوس:

الطقوس ومفردتها طقس وتعني الطريقة أو الكيفية التي يتم بها أداء الأنشطة المقدسة وتنظيمها في إطار احتفالي، فالطقس في مضمونه الاصطلاحي يعني مجموعة من القواعد التي تنتظم بها ممارسات الجماعة، إما من خلال أداء شعائرها التي تعدها مقدسة أو من خلال تنظيم أنشطتها الاجتماعية والرمزية وضبطها وفق (شعائر) منتظمة في الزمان والمكان. (المحواشي، 2010م).

العادات والتقاليد:

نعني بها «ما اعتاد الناس عليها وكرروا ممارستها إلي حد أصبحت تقاليد يتبعونها جيلاً بعد جيل بعفوية وتلقائية في استسلام لا واعي، في الغالب، لما توحى به أو تدعو إليه من قول أو فعل إذ تكون امتزجت بوجودهم وخالطت حياتهم وتحكمت فيما يصدر عنهم من فكر أو سلوك وأنها تتجلى في كل المناسبات التي تصاحب أطوار الإنسان في جميع مظاهره الحيوية ومعاملاته وكذلك علاقته بالأرض وما فيها من كائنات حيوانية ونباتية، بل تتعداها إلي النظر في السماء وإلي ما وراء الطبيعة وما هو خارج عن نطاق مهمته وإدراكه ومع ذلك فهو يتغلب على ما يكتنفها من غموض بما يكتسبه من منظور الدين لها، ولكن كذلك بما يكون مترسباً في ذهنه من معتقدات وطقوس وتأثيرات سلالية عميقة....» (الجراري، 2007م).

التينمباب

الإسم والمدلول:

يطلق اسم تينمباب على نوع من الحجارة الصغيرة (حصى) شديدة اللعان أو منحوتة من الصخور الموجودة في المنطقة (القاشاني)، تتراوح ألوانها في التدرج بين خمسة ألوان رئيسية الأسود، الأخضر، الأصفر، البني والأبيض، وهذه مقدسة عند الأهالي في منطقة الدراسة.

أما أحجامها فهي مختلفة ما بين صغيرة وكبيرة ولا يتجاوز حجم أكبرها بيضة الدجاج متوسطة الحجم لغير المنحوت، وعلى هذه الحجارة رسومات أو خطوط في شكل كتابات تعطي أشكال حيوانات معينة على حسب الناظر إليها وتتمثل هذه الأشكال في معظمها في شكل بقرة أو تمساح أو طيور، ومن سمات هذه الحجارة، كما يذكر الرواة الحركة وخاصة عند منتصف النهار وأثناء الليل وحركتها مصحوبة بأضواء لامعة (الراوية: سلوى السر).

وهناك نوعان أو شكلان للتينمباب لكل نوع مهمة مختلفة وهما⁽¹⁾:

الأول: بيبضوي الشكل وأحياناً أقرب للدائري ويستخدم لحفظ وزيادة البركة للمحاصيل الزراعية وتحديداً الحبوب (صورة رقم 1) سنطلق عليه اسم تينمباب البركة.

(1) * هناك نوع ثالث على حسب رواية مفردة سمعتها يجمع بين الإثنين موجود في منطقة شبتوت شمال القوائد يطلق على عليه اسم الدورانج (Doranj) وعرف بهذا الاسم لأنه يبحث عن صاحبه المقصود ويأتي إليه زحفاً من مناطق بعيدة (الراوي: محمد شريف).



صورة رقم (1)

تينمباب البركة

الثاني: بيضاوي الشكل - منحوت أو مأخوذ من المدافن القديمة-، وفي الغالب صغير الحجم بالمقارنة بالنوع الأول ومخروم من المنتصف ويستخدم لحفظ الإنسان وكجالب للحظ (صورة رقم 2)، (الراوية: أم النصر شيخ الدين) سنطلق عليه اسم تينمباب الحفظ والحظ.



صورة رقم (2)

تينمباب الحفظ والحظ

أما عن معنى تينمباب وهي كلمة دنقلاوية نوبية فذهب البعض في تفسيرها عدة مذاهب ولكن يمكن أن نجملها في ثلاث آراء: الأول يقول إن أصل الكلمة تيرنباب ويتكون من مقطعين: الأول تير ويعني الله تنزهت أسماؤه - والنون للنسب -، والثاني: باب ويعني ذو أو صاحب ثم قلبت نون النسب ميماً لوقوعه ساكناً بعد با (باب) فأصبحت تيرمباب ثم حرفت إلى تينمباب لسهولة النطق والكلمة تعني ذو التقديس أو الحجر المقدس. (الراوي: محمد حسين).

الثاني: المقصود بتمباب ملك الملوك أو والدهم حيث تن ضمير (هم) وباب والدهم والمراد إلههم أو ملكهم وهو حجر صغير يتمثل في شكل جعران (دورا نج)⁽²⁾ (الراوي: محمد شريف)، ويحدد البعض هذا النوع بالجعران (الخنفساء) الذي يدحرج مخلفات البهائم وخاصة روث الأبقار وتعرف في منطقة الدراسة بكوهنداران-ن-دور (الراوية: أم النصر شيخ الدين).

الثالث: يربط اسم تينمباب بالبقرة المقدسة حيث يرى أن كلمة تي باللغة الدنقلاوية تعني البقرة وكلمة با تعني الحوض ولعل المراد إحدى المعنيين: والإنتاج والوفرة في المحصول، أما الثاني الخصوبة في التكاثر والإنجاب، ولعل هناك ربطاً بين المقطع (تي) في تينمباب والمقطع تي في كلمة آر تي وتعني في اللغة الدنقلاوية الله سبحانه وتعالى تنزهت أسماؤه. (الراوي: محمد علي).

(2) * تنطق في منطقة الحس تينباب (Teenbabb)، (شليبي، 2013: 63)، وتنطق أحياناً بنفس الطريقة في منطقة دنقلا.

ومن خلال هذا النقاش، نخلص إلى ثلاثة نتائج وهي:

الأولى: أن كلمة تينمباب تدل على نوع من التمايم والحروز التي تستخدم وفق طقوس معينة، لها قداسة كبيرة عند السكان.

الثانية: أن التيمبات المنحوت تتمثل بصورة كبيرة في شكل الخنفساء.

الثالثة: أن الحجارة الصغيرة (صحي) اللامعة لها علاقة بالبقرة المقدسة.

هذه النتائج تقودنا إلى الوقوف على بعض ملامح المعتقدات القديمة ذات الصلة في وادي النيل حيث تعتبر منطقة الدراسة جزءاً منها، وذلك بالقدر الذي تسمح به هذه الدراسة الموجزة.

الجدور التاريخية والدينية

كانت الديانات القديمة تتخذ من الحيوان والجماد وعناصر الطبيعة الأخرى معبودات لها، وقد عمدت إلى رسم وتشكيل صور هذه المعبودات في شكل تماثيل أو صور، ومن أشهر الحروز المعروفة في هذا المجال في الحضارة المصرية القديمة الجعل (الجعمران) الأسود، وكان في البداية حرزاً جنائزياً، ويمثل الاله مانح الحياة (سليمان، 1983م: 96-97)، والملاحظ أن الجعمران استخدم أيضاً في الحضارة السودانية القديمة كحرز جنائزي وخاصة في فترة الاحتلال المصري للسودان في زمن الدولة الحديثة (1500 - 1000 ق.م.)، ولها أشكال متعددة واستخدمت لأغراض مختلفة أشهرها كأساس جنائزي، ونحن لا ندري الجذور الأساسية لعبادة الجعمران كانت في شمال الوادي أم جنوبه ولا نود الخوض فيه لأن ذلك يقودنا للحديث عن الأصول الحضارية لوادي النيل وهو موضوع طويل ومطروح بين أيدي العلماء وما زالت البحوث جارية للوصول إلي نتائج حاسمة ولكننا نقول أن ملامح عبادة الجعمران في شمال الوادي أوضح بكثير من جنوبه على حسب ما هو متوفر الآن من بيّنات. (J. Ward: 1902).

وفي هذا الإطار يقول بدج: إن إيمان السوداني المعاصر بالتمائم يوازي نفس القدر الذي كان يؤمن به أسلافه منذ آلاف السنين فهو لا يزال يعتقد أن لبعض الأحجار ذات الألوان - المحددة خصوصاً عندما يتم تشكيلها على هيئة رموز بعينها - خواص سحرية رغم أنه لا يعرف أي معلومات عن معناها عدا أنها مقام للأرواح. فالنساء والأطفال خاصة الفتيات يحمين أجزاء عديدة من أجسادهن بعقود من الخرز المصنوع من أحجار سحرية وفي بعض الأحيان تجدهم يضعون لوحات من المعدن أو الحجر مقطوعة

بأشكال متنوعة ومعلمة بعلامة سحرية على أجسادهم في أماكن معينة تتطابق مع تلك الأماكن التي وضع فيها قدماء المصريين تماثهم مع موتاهم، وهذه المعتقدات ليست بعيدة عن معتقدات عصر الأسر أو حتى ما قبل الأسر المصرية، ويحتاج هذا الموضوع لمزيد من البحث. (بدج، مرجع سابق، 38-39).

وتقول شادية هي آثاره تعمل ضمن الفريق الأثري لمشروع حفريات المتحف البريطاني في عمارة غرب أنها لاحظت وجو حصلا في بعض الغرف لمنازل تعود لفترة الدولة المصرية الحديثة (1500-1000 ق. م) تتراوح متوسط أعدادها ما بين (3-5) بألوان مختلفة بنية خضراء حمراء (الرواية: شادية عبد ربه) وربما استخدمت هذه الحصى لأغراض الحماية ولأغراض تعبدية.

أما تمثيل تينمباب - حسب الاسم المحلي في دنقلا - بشكل الخنفساء فترجع إلي عصر الأسر (W.M, Potrie: 1914)، كذلك نجد لها صدى واسعاً في المعبودات المصرية القديمة والمشهورة بالألة خيبر، وكانت عبادته أقدم من عبادة الأله رع وظل تأثيرها مستمراً في عقول المصريين منذ عصر الأسر ولا زال أثرها باقياً بين السكان المحليين في وادي النيل المعروف بالإله خيبرا وكان يرمز للإله خيبر (Kheper) إليه بالخنفساء وهي من الفصيلة الجعرانية حيث اختاروا نوعاً محدداً منها هو الجعران المقدس (Scarabeus Sacer) وهو أحد أفراد مجموعة واسعة من الجعارين آكلة الروث التي تعيش معظمها في المناطق الحارة وهي المعروفة في منطقة الدراسة بكوهندار دور واللون الغالب لهذه الخنفساء هو اللون الأسود، وبعضها مزين بألوان معدنية لامعة، وأول نوع تم ربطه منها بالشمس (الإله

رع) كان لونه أخضر، وهي تطير خلال ساعات اليوم حرارة، وربما تكون هذه الخاصية بالذات هي السبب في أن يربط المصري البدائي بينها وبين الشمس، حيث جاء في نص متأخر للملك بيبي أحد ملوك الأسرة السادسة يقول أنه يطير مثل طائر ويتوهج مثل الخنفساء فوق العرش الخالي في قارب رع (بدج، المرجع السابق: 404)، ولعلنا نلاحظ بوضوح الصفات المشتركة التي أوردناها في وصف التينمباب وما جاء في وصف الخنفساء رمز الإله خيبرا منها الألوان، واللمعان وكذلك ظاهرة طيران التينمباب، وسنفصل جانباً من هذه الظاهرة أثناء تناولنا للممارسة الطقوسية للتينمباب.

وهنا نورد الأسطورة السودانية القائلة بأن الخنفساء (أبو الدرداق) كان يحلم بأن تصبح القمرة (القمر) عروسه وهذا الحلم قابله مهر تمثل في طلب القمر أن ينظف أبو الدرداق كوكب الأرض من القاذورات والفضلات حتى يصبح نظيفاً يليق بجمالها و نقائها ومن يومها شرع أبو الدرداق في العمل للإيفاء بالمهر المطلوب منه⁽³⁾ (أحمد، 2016م)، وربما تكون لهذه الأسطورة علاقة بالمعتقدات القديمة في وادي النيل (صورة رقم 3).

(3) * أفساد باحثون سويديون أن الخنفساء تستغل ضوء القمر وقت ما أرادت التحرك، ولديها قدرة مذهشة على مراقبة النجوم والأقمار واستشادها في التحرك ليلاً (أحمد، 2016م).



صورة رقم (3)

جعرانة (أبو الدرداق)

من جانب آخر فإننا نجد للرأي الذي يربط بين التينمباب والبقرة المقدسة صدى كبيراً في ثقافة المنطقة حيث كانت تمثل البقرة أهمية كبرى في حياة السكان وفي طقوسهم، وهو أمر سنفصل فيه بعض الشيء، ولكننا هنا نود أن نقف بإيجاز عن أهمية البقرة كرمز لمعبود قديم في وادي النيل وهي الآلهة حتحور ربة من أقدم الربيات التي عبدها المصريون فقد عثر على رمزها في هيئة رأسي وقرن بقرة بين عدد من الأغراض الصوانية التي ترجع إلى عصور موغلة في القدم وقد رسمت أيضاً على هيئة بقرة، وكتبت حيت - حيرت Het - Hert وكتبها اليونانيون هاتور (بدج، المرجع السابق: 503) وتنطق في منطقة الدراسة شاهد (ح) تور.

ويقول محمد إبراهيم بكر أن حتحور Hathor كانت في الأصل هي البقرة التي أشفقت على حورس (Horus) في الأسطورة ويكوّن مع والده أوزيريس (Osiris)، ملك العالم السفلي و إله الخير ووالدته أيزيس (Isis) التي تمثل الخير والأمومة وربة السحر ثالثاً مقدساً ورمزاً للخير والنيل في صراعه مع الشر والصحراء والذي يرمز له بالمعبود ست، ومعنى حتحور حصن أو مأوى أو حاضنة حورس ثم أصبحت ترمز لمعاني إنسانية نبيلة، وقد بنى لها ترهاقا معبداً صخرياً في حضان جبل البركل. (بكر، 1983م: 238-239).

وللبقرة أهمية كبرى في حياة النوبيين في شمال السودان ومنطقة الدراسة حيث تذكر روايات بعض كبار السن أن الأمهات كن يضعن أطفالهن في حظائر الأبقار ليلاً إذا ذهبن مناسبة اجتماعية فرحاً أو كرهاً وذلك لإعتقادهن بأن البقرة تحمي الأطفال ولا يساورهن أي قلق تجاه أطفالهن.

(الراوي: أحمد حسين محمد)، وكذلك نجد أيضاً في الأغنية الشعبية في المنطقة إشارة لشاهتور باللغة الدنقلاوية.

شاه (ح) تور كي عبيدي بدلي - ن - تودكي

أشوي قد صبحي ريلي - ن - تودكي

المعنى: أحفاد من عبدوا ودعوا الآله (شاهتور)

أحفاد من يبدؤون يومهم بشراب اللبن من الأبقار مباشرة

ويزعم البعض أن المقصود من شاهتور هو النبي الخضر ولكننا نرى أن هذا الرأي فيه ضعف لأن المشهور في المنطقة عند الإشارة للنبي الخضر هو (الخدركي) أما شاهتور هو الأقرب في النطق لحتحور (شبا، أغنية السيرة) إذا حذفنا المقطع شا والذي يستخدم في اللغة الدنقلاوية كرمز ملكي أو للتعظيم. (الراوي: محمد حسين محمد). كما أن السياق وإرتباطه بالبقرة يعضد ما ذهبنا إليه، فضلاً عن بعض الإشارات والطقوس التي تؤكد ذلك - سنشير إليها - ونضيف هنا إرتباط حثحور في المعتقدات المصرية القديمة بالربة ساتي (ستحي) (بدج، مرجع سابق، 5120)، ويلاحظ إنتشار اسم ساتي في منطقة دنقلا، ولقب ساتي في اللغة الدنقلاوية يشير إلى مرتبة دينية (كاهن-شيخ دين).

الطقس والممارسة

ارتبط التينمباب في دنقلا بممارسة بعض الشعائر الطقوسية والتي ما زالت تمارس حتى الآن خاصة عند النساء في حدود ضيقة - وهي في طريقها للاندثار - وهذه الطقوس لها صلة بموضوعين: الأول البركة والزيادة في المحصول، والثاني للحفاظ وجلب الحظ للإنسان؛ وسنحاول في هذا الجزء أن نلقي الضوء على هذه الممارسات والطقوس الأخرى ذات الصلة بها.

طقس البركة:

بعد جمع المحصول للتعبئة في المكان المخصص له (التقا) Taga تجرى بعض الطقوس أثناء تعبئة المحصول وتخزينه وذلك لجلب البركة وزيادة الإنتاج ومن هذه الطقوس يذهب الرجال في الثلث الأخير للتقا ويقفون على مسافة قريبة على بُعد عشرة خطوات تقريباً ويوقدون البخور، ثم يخلعون أحذيتهم ويحمل أحدهم تينمباب البركة ويجثو على ركبتيه عند المحصول (الحبوب) المراد تعبئتها ويضع التينمباب داخله، وبعدها يبدءوا التعبئة، ويتم أولاً إخراج مقدار معين من الحبوب (قيراط تقريباً) بمكيال من الفخار يسمى شوربا (Shorba) ويوضع بعيداً ويترك في مكانه لا يقترب منه أحد، ويعرف هذا الطقس بأسم (شاه ح) تور شوربا) ونلاحظ هنا ورود اسم شاحتور - ذكرنا من قبل أن صلته باسم الأله حتحور - ويعرف هذا الطقس عند البعض بأنون-توني (Anon-tony) وهي كلمة دنقلاوية تعني حرفياً أبناء الجد الكبير⁽⁴⁾، وقد هذا الطقس ارتبط بممارسات أخرى وهي إخراج جزء من الحبوب عند تنظيفه أو جزء من الخبر عن

(4) * وهناك تعريف آخر لأنون توني ارتبط بعقائد سكان منطقة الدراسة وهو يعني عندهم الشياطين أو المخلوقات الخفية، ويقال أيضاً أنهم نتاج (أبناء) زواج بعض رجال الدين من بنات الشياطين، والجدير بالذكر أن في منطقة الغابة شمال مدينة الدبة مقبرة ضخمة معروفة باسم أنون توني، وكذلك توجد أسرة في منطقة المقادرة جنوب مشهورة بأنون توني (شباباً: 2017م).

تصنيعه في مكان مرتفع أو على سطح المنزل ليشاركهم أبناء الجد في الطعام، ولا يعلمون من هم أولاد الجد هؤلاء، وربما كان لهذين الطقسين صلة بمعتقدات قديمة تقتضي إخراج جزء من المحصول كذور للآلهة. (شبا - طقوس وطرق حفظ الحبوب والأطعمة).

بعد تعبئة المحصول ينقل إلى مكان التخزين بالحمير أو الجمال، ويتم التخزين بطريقتين إذا كان المحصول وافراً يحفر حفرة عميقة داخل الرمال ثم يرش داخلها الرماد (Opory) وتوضع الحبوب داخلها وتطمر، ثم يُعلم مكان الطمر بحجارة معروفة أو عوداً من الخشب.

أما الطريقة الثانية وهي الأكثر انتشاراً فتحفظ داخل صومعة صغيرة تبني داخل المنزل تعرف بالقوسية (Gossei) ويستخدم في بنائها طين النيل (الطمي) (Korkaty)، ويخلط معه روث الحمير أو مخلفات القمح (التبن) ويترك حتى يتخمر الطين ثم تبني قاعدتها في شكل دائري بقطر القاعدة (1-3م) وأرتفاع (2-3م) والفتحة الخارجية (العليا) بقطر (1-1.5م) ويستغرق فترة البناء حوالي (15 يوم)، وقبل التخزين يتم حرق الصومعة (القوسية) من داخلها ثم ينثر أيضاً عليها الرماد وذلك منعاً لتسوس الحبوب، وتوضع القوسية فوق ثلاثة أو أربعة حجارة متوسطة الارتفاع لأبعادها عن الرطوبة والزواحف والحشرات (صورة رقم 4).



صورة رقم (4): التينمباب داخل العيش

التينمباب داخل العيش

ويلاحظ في تقنية صناعة القوسية ظاهرة علمية متطورة جداً نجح في إبتكارها المهندس النوبي وهي مقدرة القوسية على الحفاظ على درجة حرارة ثابتة نسبياً تتناسب مع درجة الحرارة خارجها والتي تتراوح ما بين شدة الحرارة صيفاً والبرودة شتاءً على حسب مناخ الإقليم النوبي الصحراوي القاري. (Tahir, 2015: 84- 91).

ويصاحب عملية التخزين طقوس متوارثة مرتبطة أيضاً بتينمباب البركة لأنها مهمة ومقدسة تتوارث عبر الأجيال من الجدة إلى الأم إلى البنت ويكون ذلك عبر مواصفات محددة لمن تعطي التينمباب منها من يظن فيها أنها مبروكة (أي ضراعها أخضر)، وأنها موفقة في حياتها الزوجية، ويتم وضع التينمباب داخل القوسية في الغالب قبل مغيب الشمس بقليل، ولا يحضر عملية إدخال الحبوب والتينمباب في القوسية المرأة المطلقة أو العاقرة ويوضع التينمباب أسفل القوسية وفوقها الحبوب، وعند القيام بهذه العملية يرفع النساء أصواتهم ويرددن:

شاه (ح) تور جنات آرتر بول (الراوية: سلوي السوي)

المعنى:

شاه (ح) تور الذي يرقد في ظل (الضحى) داخل الجنة.

وكذلك يرددون: شاه (ح) تور لا تبقي كتر⁽⁵⁾ الخدر والياس بلا قياس (الراوية: علوية محمد) أيها الإله كن على عادتك مباركاً لنا في محصولنا البدني الخدر (الخضر) والياس زايداً وباركاً المحصول بلا حدود.

(5) * نلاحظ حضوراً طاعياً لسيدنا الخضر (العبد الصالح) في ثقافة المنطقة أما سيدنا الياس فنادر جيداً استخدام.

إن الاعتقاد بأن يبارك لهن الحبوب، وإذا كان في القوسية حبوب لا تؤخذ من أسفل التينمباب، وكذلك إذا أريد إفراغ القوسية من الحبوب من أجل التنظيف وإعادة تخزين الحبوب من جديد تستخرج الحبوب الموجودة مع التينمباب ثم تعاد مرة أخرى.

طقس الحفظ والحظ

ذكرنا أن تينمباب الحفظ يرمز له بالخنفساء والذي استخدم بشكل واسع في فترة احتلال الدولة المصرية الحديثة للسودان كأساس جنائزي ولأغراض أخرى مثل التمايم، موضوع في الغالب من حجر القاشاني وهو موضوع لا نريد الخوض فيه. ونورد هنا مثلاً لذلك فقد وجدت بمقبرة في جزيرة صاي بشمال السودان تعود لفترة الدولة المصرية الحديثة قلادة (صدرية) في وسطها خنفساء (بطول 5.9 وعرض 3.6 وسمك 2.9) على جانب رأس صقر، وخلف نحت الخنفساء كتابة هيروغليفية داخل رسم في شكل قلب استخدمت كإفادة وشهادة لصالح المتوفي، وعادة ما كان يعلق هذا الحرز الجنائزي ناحية القلب بعد تحنيط الميت ويعلق أيضاً على العنق، ومنذ عصر الأسرة الثامنة عشر أخذ هذا الحرز يظهر في أشكال كثيرة كرمز للتغيير والتجديد (النوبة ممالك النيل: 120-121)، (صورة رقم 5).



صورة رقم (5)

أما في منطقة الدراسة فإن هذا الحرز (تينمباب الحفظ والحظ) فيستخدم لأغراض الحفظ والحماية وجلب الحظ للأحياء، ويلاحظ أن نفس هذه الحروز الجنائزية المنحوتة في شكل الخنفساء هي التي يستخدمها السكان، وإذا وجد أحدهم التينمباب المذكور - غالباً في المواقع الأثرية - يجرى إختبارات بطرق متعددة لمعرفة صاحبه الحقيقي لأن الإعتقاد السائد أن التينمباب من ميراث الأجداد للأبناء المحظوظين وهي تركة خاصة بالنساء في الغالب.

وتتم عملية الإختبار بعدة طرق⁽⁶⁾* منها الذهاب إلى بعض النساء المخطوطات⁽⁷⁾* أو النساء كبيرات السن والخبيرات بالطقوس القديمة تعرف بالكاهنة، حيث تقوم الكاهنة ببعض الإجراءات الأولية منها ووضعه داخل كوب لبن أو رشه باللبن ثم إدخال حرير أحمر داخل الخرم الموجود وسطه ووضع بعض الخرزات على الجانبين ثم كسوته بالذهب (تغليفه)، وبعد هذه الإجراءات توضع تحت وسادة الكاهنة عند النوم ليلاً، وأثناء النوم يحدد التينمباب صاحبه بالاسم، وفي الصباح تعلن الكاهنة صاحب التينمباب وتوضح ضرورة تسليم التينمباب لصاحبه الحقيقي حتى لا يصاب من بيده التينمباب وأهله بضرر عظيم قد يصل للموت، وكذلك يصاب هذا الشخص في ماله بالتلف والمحاق، وتؤكد بعض الروايات وصول هذا الضرر لعدد من الأشخاص بالمنطقة (الراوية: منيرة صالح) وإذا أصر من وجد التينمباب بأحقية يجرى له طقس أخير، وذلك بإلقاء التينمباب في النيل في مكان تيار مائي شديد فإذا خرج لصاحبه فهو أحق به من غيره، كما

(6) * يشير الراوي عبد الرحيم بشاشة بأنه عندما كان صغيراً حضر مشهداً لمعرفة صاحب التينمباب حيث يوضع التينمباب بين سكينين حادين فيتراقص ويشير إلي صاحبة الحظ (الراوي: عبد الرحيم بشاشة).

(7) * ذكر الراوي محمد شريف أن والدته كانت محظوظة ومشهورة في منطقة شبوت وهي فاطمة عباس محمد عبد الله توفيت العام الماضي عن عمر ناهز 120 عام - وكانت تملك أكثر من عشرة ولكل واحد ميزة معينة، وكان النساء في المنطقة عندما يجدن الدورانج (التينمباب) يقمن باستشارتها (الراوي: محمد شريف).

أن التينمباب قد يختفى ويترك من وجده إذا أخفى أمره ولم يقم بهذه الطقوس ويذهب لصاحبه الحقيقي صاحب الإرث، وبعد التأكد من صاحب الحق في التينمباب يحفظ في مكان أمين ويعطر ويبخر كل فترة وكذلك يعلق حول العنق بالحرير لدفع الضرر وجلب الحظ (نفس الرواية)، وإذا كانت أكثر من تينمباب يتم رصه في عقد ثم يربط حول الرقبة (الراويّة: محمد شريف)، ويبدو أن لهذه الطريقة صدى في الماضي (صورة رقم 6)



صورة رقم (6)

جزء من قلادة ذهبية للملكة أماني شاخيدتو

ومن الطقوس المرتبطة بالتينمباب غسله تبخيره وتعطيره ثم رشه باللبن ولفه بالحريير ثم وضعه تحت وسادة المرأة النفساء التي ولدت تُوأم في أول ولادة لها (البكرية) وذلك بتوجيه من الكاهنة لمؤانسة الأم والطفلين ليلاً إذا نام أفراد الأسرة. (الراوية: أم النصر شيخ الدين).

وهناك رواية تقول بأن التينمباب (دورانج) يأتي لإحدى النساء المحظوظات في المنام ليلاً ليخبرها بمكانه وبصاحبه المراد، وقد يحكي التينمباب في المنام للرأي قصة رحلته الطويلة والمشاق التي تعرضت لها أثناء السفر ثم يبلغه بالشارات التي تحدث له مستقبلاً كالغني والذرية وغيرها، وإذا لم يجد الاهتمام الكافي من صاحبه من تتطبق وتبخير وتطيب بفضب الدورانج وينقسم إلي فلقين (الراوي: محمد شريف).

وتضيف الراوية علوية محمد صالح: أنها وجدت تينمباب صغير في المنطقة الأثرية في المنطقة وأنها قامت بوضعها داخل اللبن حتى الصباح ثم قامت بتظيفه وأدخلت الحريير الأحمر في الحزم الموجود في وسطه ووضعته مع سوميته وعدد من الأصداف (نيري) ووضعته في مكان آمن وعندما استقرت في مكانها علمت أنها صاحبة التينمباب لأن يذهب لصاحبه وأنها احتفظت حاجة منذ أن كانت تشابهه - الآن تجاوزن ثمانين عاماً - وكانت تلبسه في يدها، ومنذ ذلك الزمن لم تخلو محفظتها من نقود وأنه هذا التينمباب (أقروستي) جالب للحفظ والبركة (الراوية: علوية محمد صالح).

ومن الطقوس المرتبطة بتينمباب الحفظ والحظ إذا كان موجودة عند أسرة معينة وضعه ضمن طقوس الجرتق الذي يتكون من عدة أجزاء مختلفة وتتلخص مراسمه في الآتي: خيوط من الحريير مفتولة وتلبس في معصم اليد الأيمن، وتتدلى من عقدة الربط خيوط الحريير عند إنتهاء الفتلة وتسمى

الحريرة، وهلال من الذهب يشد على الجبهة والرأس بقطعة من قماش أحمر وقطعة أخرى من الحلي بحجم رأس الأصبع الكبير، تتخللها خيوط الحرير الحمراء، وتتدلى منها حרزة من الأحجار الزرقاء، أو الخضراء، وهي التي تسمى (الجرتق) في الأصل. والجبيرة وتلبس في اليد اليمنى للعريس مع الحريرة والكباسة أو الفرج اللّهُ تتكون من الفضة واللّوئي الحر وعظمة السمكة والسكس الملون وتلبس في العنق، ثم يمسح في مقدمة شعر رأس العريس مع ميل قليل نحو وسط الرأس ببعض من دهن الضأن (الودك)، ثم بعد ذلك يمسح في نفس الموضع مسحوق المحلب والصندل، ومن ثم يرش عليه قليل من العطر، وهذا ما يعرف بالضريرة ويتم هذا الطقس بمباركة من والدة العريس وخالاته والأقرباء، وهذا الطقس مرتبط بصورة أساسية بالزواج والعريس ويستخدم أيضاً في الختان والنفاس. (بلال، 2001م، 88-89).

واستخدام الجرتق بعناصره المختلفة والتي قد تختلف في بعض مسمياتها، والتي تضم عدة حروز خاصة بالحماية والخصوبة، ومن بينها تينمباب الحفظ والحظ لزيادة فاعليتها. (الراوية: زينب محمد حسن).

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة التي تناولت عنصراً ثقافياً واحداً من منظومة العناصر الثقافية التي شكلت الثقافة لدى إنسان دنقلا على مر العصور، والتي حصرنا فيها موضوع الدراسة بقدر المستطاع في التينمباب من حيث دلالات اللفظ وجذورها التاريخية والدينية والطقوس المرتبطة بها والتي ما زالت تمارس على نطاقين:

الأول: تينمباب البركة والزيادة، يختص بالحبوب والمحاصيل الزراعية ولها صلة بالآلهة تحور التي رمز لها بالبقرة.

الثاني: تينمباب الحفظ والحظ، ويختص بالإنسان ويستخدم للحماية وجلب الحظ بصورة أساسية ولها صلة بالآلهة خيبرا ورمز له بالخنفساء.

ونلاحظ أن التينمباب له جذور عميقة في المعتقدات القديمة في وادي النيل مما يفسر لنا سر تمسك السكان بها رغم التغير الثقافي الكبير الذي طرأ على المنطقة خلال هذه الحقب التاريخية الطويلة، وهذه الاستمرارية الثقافية تدعم بقوة الأطروحة التي تقول بالاستمرارية في التطور الحضاري والثقافي في السودان مما يعني استمرارياً سكانياً نقل هذا التواصل الثقافي.

وتوصيتنا في خاتمة هذه الدراسة إجراء مزيد من البحوث حول أصول المعتقدات الدينية في وادي النيل من زوايا بحثية متعددة وتتبع مظاهر استمراريتها في الثقافات الحالية، وكذلك الاهتمام باللغة النوبية الحالية كإحدى المفاتيح المهمة في هذه الدراسات، ونورد هنا مقولة متداولة في المنطقة كمثال يصلح أن يكون مدخلاً لدراسة المعتقدات وهي (هوتا - ن - إكي - مبرر) أي يمنعي هوتي أو هوتا (الشيء العظيم) ونلاحظ هنا تشابهاً

كبيراً بين هذه الكلمة وهاتي (Hati) وهو مكان كلمات القدرة وبواسطته تستمر الحياة في المعتقدات الدينية القديمة في وادي النيل، ومعلوم أن تغييرات كثيرة تطرأ على الكلمة بفعل عوامل كثيرة خلال الحقب الزمنية الطويلة والتي تقدر بمئات السنين.

المصادر والمراجع

- (1) الجراري، عباس: «الحضور الديني في العادات والتقاليد»، تدوة في موضوع دور العادات والتقاليد في بناء الشخصية المغربية، أكاديمية المملكة المغربية، مراكش 7 نوفمبر 2007م، من على شبكة الانترنت.
- (2) أحمد، نور الحق، « الفكر والثقافة والأدب في السودان»، تكاملات، تصدر عن دار مومنت للكتب والنشر، ع 1، 2016م من على شبكة الانترنت.
- (3) بدج، والاس، صفحات من تاريخ مصر الفرعونية، آلهة المصريين، ترجمة: محمد حسين يونس، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م).
- (4) بكر، محمد إبراهيم، تاريخ السودان القديم، (القاهرة، دار المعارف، 1983م).
- (5) بلال، أمل عثمان حامد، (دور المرأة النوبية في استمرارية وتغير طقوس دورة الحياة في منطقة دنقلا)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 2001م.
- (6) حريز، سيد حامد، مناهج التراث الشفاهي عند العرب، (أبو ظبي: سلسلة الوثائق التاريخية (5)، 1992م).
- (7) سليمان، الصادق محمد، (الحروز في السودان أصولها ووظائفها وأغراضها (دراسة تحليلية توثيقية)) رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 1983م.

(8) شبّا، عوض أحمد حسين، « من طقوس وطرق حفظ الحبوب والأطعمة في دنقلا، مقال غير منشور.

(9) الأوضاع السياسية في إقليم دنقلا قبيل الغزو التركي (إمارة لنكلاب كحالة دراسة)، مؤتمر: سنار في أفريقيا (الماضي والحاضر والمستقبل، جامعة سنار، 2017م).

(10) شلبي، عفاف سليم على، (الموروث الثقافي لقبيلة الميذوب بغرب السودان وعلاقته بالنوبة المحس في شمال السودان، دراسة فلكلورية تحليلية)، رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 2013م.

(11) المحواشي، منصف، «الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول» إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية» ع49، 2010م، من الأنترنت.

(12) النوبة، ممالك النيل في السودان، مؤسسة لاكشيا.

المقابلات:

(1) أم النصر شيخ الدين حسين دياب، ربة منزل، 77 عام، مقابلة بمنزلة، قرية المقاودة، دنقلا العجوز، بتاريخ 2015/2/15م.

(2) زينب حسن نقد، ربة منزل، 75 عام، مقابلة بمنزلها، الحاج يوسف، الخرطوم 2017/6/25م.

(3) سلوى السر حسين محمد، ربة منزل، 55 عام، مقابلة بمنزلها، كدكول - دنقلا العجوز، بتاريخ 2015/2/13م.

- (4) عبد الرحيم محمد صديق بشاشة، 67 عام، موظف بالمعاش، اتصال عن طريق الواتساب.
- (5) علوية الحاج محمد صالح، ربة منزل، 80 عام، مقابلة بمنزلها، المقاودة - دنقلا العجوز، بتاريخ 2015/2/16م.
- (6) محمد حسين محمود، نقابي بالمعاش، مهتم بالتراث النوبي، 65 عام، مقابلة بمنزله بالحاج يوسف، الخرطوم، بتاريخ 2014/3/12م.
- (7) محمد شريف أحمد إدريس، مهتم بالتراث، رئيس المنظمة النوبية للثقافة والتراث، 62 عام، مقابلة بمكتب المنظمة، 19 يونيو 2016م.
- (8) محمد على حسين محمد، مزارع، 59 عام، مقابلة بمنزله، قرية كدكول، دنقلا العجوز، بتاريخ 2015/2/13م.
- (9) منيرة صالح عبد الله صالح، ربة منزل، 62 عام، مقابلة بمنزلها، قرية المقاودة، دنقلا العجوز، بتاريخ 2015/2/7م.
- (10) شادية عبد ربه عبد الوهاب، آثارية - أمانة المتاحف - الهيئة القومية للآثار والمتاحف، مقابلة بالهيئة القومية للآثار والمتاحف، بتاريخ 2017/11/29م.

المصادر والمراجع باللغة الانجليزية:

- (1) Tahir, Yahia Fadl and Others “ Gossi: The Ancient Nubian Mud Buit Grain Silo”, Nyame Akuma, No. 83, June 2015.
- (2) Gads and Divine Symbols of Ancient Sudanese Civilization Catalogue of the Sudan National Museum in Khartoum (MOSCOW, 2006).

- (3) W.M. Flinders Petrie, Amulets – Illustrated by the Egyptian collection in University College, London (London – 1914).
- (4) Carol Andrae, Amulets of Ancient Egypt (British Museum 1994).
- (5) John Ward, The Sacred Beetle A popular treatise on Egyptian scarabs Art and history (London 1902).



دار آرِيثريا للنشر والتوزيع
Arithria for Publishing and Distribution

الناشر

دار آرِيثريا للنشر والتوزيع - الخرطوم - السودان

جوال: 00249122094856 - 121566207

البريد الإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com



دار آرثيريا للنشر والتوزيع
Arythria for Publishing and Distribution